

عقوق الوالدين...

د. فاطمة محمد العليان*



والمهله، فمن البر بالوالدين والإحسان إليهما ألا يتعرض لسبهما وألا يعقهما، فإن ذلك من الكبائر، وبذلك وردت السنة الثابتة ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: إن من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم يسب الرجل أب الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه.

قال القرطبي عقوق الوالدين مخالفتها في أغراضهما الجائزة لهما، كما أن برهما موافقتها على أغراضهما وعلى هذا إذا أمرا ولدتهما بأمر وجبت طاعتها فيه إذا لم يكن ذلك الأمر معصية وإن كان ذلك من قبيل المباح في أصله وكذلك إذا كان من قبيل المندوب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال أمك. قال ثم من؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال: أمك. فهذا الحديث يدل على أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغي أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب لذكر النبي ﷺ الأم ثلاث مرات وذكر الأب في الرابعة فقط.

ومما يؤكد لنا وجوب بر الوالدين وأن مخالفتها في غير معصية الله معصية فقد جاء عن عبدالله بن عمرو قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والدك؟ قال نعم، قال: ففيهما فجاهد.

وفي حديث آخر عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبدالله بن عمرو قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يباعه على الهجرة، وترك أبويه بيكيان قال: ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما. قال ابن المنذر في هذا الحديث النهي عن الخروج بغير إذن الأبوين ما لم يقع النفي فإذا وقع وجب الخروج على الجمع.

ومن تمام بر الوالدين صلة أهل ودهما لا سيما قرابتهما، ففي الصحيح عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (إن من البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي).

وقال أبو أسيد: كنت مع النبي ﷺ جالساً فجاءه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله هل بقي من بر والدي من بعد موتها شيء أبرهما به؟ قال: نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما بعدهما، وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلك فهذا الذي بقي عليك، ومن أكبر عقوق الوالدين التضجر في نظراته إليهما أو التأفف في وجههما قال تعالى ﴿فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً﴾.

العقوق معناه العصيان والمخالفة وعدم أداء الحقوق، فمن صور العقوق أن ينظر الولد إلى أبيه نظرة شزر عند الغضب أو نظرة اشمئزاز، أو نظرة سخرية أو نظرة كراهية ونحو ذلك، كأن ينظر إليه على أنه مساو له خاصة إذا كان الولد على جانب من الغرور والكبرياء، ومن العقوق كذلك رفض الولد لنصح والده وتوجيهه له من وجهة نظره على أنه أدرى وأعرف بمصلحة نفسه، ذلك أن الوالد أحرص على ما يصلح لولده وينفعه فهو لا يوجهه إلا للخير ولا يقلقه إلا تطرف ولده عن الجادة، وانحرافه عن الصواب، وبعده عن الفضيلة، فإن تعاضم الولد عن تقبيل يدي والديه أو عدم القيام لهما في المجلس مثلاً أمر منكر وغير مرغوب فيه وربما يكون من العقوق كذلك.

ومن العقوق أن يستحوذ الغرور على الولد فيستحيي أن يعرف بأبيه لاسيما إذا كان الولد في مركز اجتماعي مرموق ومن أكبر العقوق والجحود ألا يقوم الولد بحق النفقة على أبويه الفقيرين.

كذلك من أكبر العقوق أن يتأفف الولد من أبويه ويتضجر منهما ويعلو صوته عليهما، ويقدهما بكلمات مؤذية جارحة ويجلب الإهانة لهما والمسبة لشخصهما بسوء تصرفه.

ومن هنا جاء النص القرآني صريحاً في النهي عن العقوق والأمر بالبر للوالدين قال تعالى ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً. إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ (الإسراء، الآية ٢٣ - ٢٤).

فقد أمر الله تعالى بعبادته وتوحيده وبر الوالدين مقروناً بذلك كما قرن شكرهما بشكره تعالى فقال ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾، وقال ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾ (سورة لقمان، الآية ١٤).

وفي صحيح البخاري عن عبدالله قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها. قال: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين، قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، فأخبر عليه السلام أن بر الوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام ورتب ذلك بثم التي تعطي الترتيب

وعن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: كل الذنوب يؤخر الله ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات. وقال ﷺ: بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله.

إن الوالدين سبب في وجود الولد، وهما اللذان ربياه وتعبا من أجله، وسهرا الليالي الطوال على راحته، وهما اللذان صرفا عليه صغيراً ورعياء حتى صار رجلاً، ويحيان له الخير والسعادة من خالص قلبيهما فيجب عليك أيها الولد أن تكافئهما باحترامك لهما وأن تطيعهما ولا تعصي لهما أمراً وأن تدعو لهما بالمغفرة والرحمة.

إن العلاقة بينك أيها الولد وبين والديك يجب أن تكون مبنية على التقدير والاحترام فإن فضل الوالدين على الأولاد لا يدرك مداه ولا يستطيع أحد أن يعرف كنهه، ثم إن القرآن الكريم قد اهتم بهذه العلاقة اهتماماً قوياً وحث على توطيد هذه الصلة بشتى الوسائل وفي كثير من آياته دعا الأولاد إلى الإحسان إلى الوالدين في أسلوب بليغ محكم يفهمه ويعيه من أعمال فكره وعقله وتدبر. فقد قرن سبحانه وتعالى الإحسان إلى الوالدين بالإيمان به وعدم الإشراك إذ يقول جل شأنه ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾.

وفي الوصايا العشر يقول عز وجل ﴿قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾.

هذا وهناك آيات أخرى في القرآن الكريم تأمر بالإحسان إلى الوالدين وتوصي بهما خيراً كثيراً. وما جاء به القرآن الكريم من دعوة إلى بر الوالدين والإحسان إليهما جدير بالمراعاة والتنفيذ والملازمة لأن واقع الحياة يبين لنا مدى ما يتحملة الوالدان من المتاعب والمشاق في تنشئة الأولاد وتربيتهم والعناية بهم. ومن جملة ما ذكرنا نستطيع أن نوجه الأولاد إلى ضرورة مايلي:

- ١ - طاعة الولد لوالديه في كل ما يأمران به إلا المعصية.
- ٢ - مخاطبتهما بلطف وأدب وخفض صوته.
- ٣ - إكramهما واحترامهما وإعطائهما كل ما يطلبان متى قدر عليه.
- ٤ - العمل على كل ما يسر الوالدين والبعد عن كل ما يغضبهما ويسيء إليهما.
- ٥ - لا تعتب على والديك ولا تلومهما على عمل لا يعجبك وقد قاما به.
- ٦ - إذا ناداك والداك قلب النداء فوراً ولا تتوان في تنفيذ أمرهما.
- ٧ - إكram أصحاب والديك وصلتهم وودهم في حياتهما وبعد مماتهما.
- ٨ - الدعاء لهما وإحسان سمعتهما وعدم ذكرهما بسوء.

* وزارة التربية والتعليم - الرياض



روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: رغم أنفه. قيل من يارسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة، وإنما خص حالة الكبر في قوله تعالى ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾ لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره لتغيير الحال عليهما بالضعف والكبر، فالزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل لأنهما في هذه الحالة قد صارا كلا عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج إليه في صغره، فلذلك خص هذه الحالة بالذكر.

ومن عقوق الوالدين رفع الصوت بالكلام عليهما قال تعالى ﴿..ولا تنهرهما﴾ أي لا تزجرهما ولا تكن فظاً غليظاً عليهما ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ أي ليناً لطيفاً في تعاملك معهما.

ومما أود الإشارة إليه والتنبيه عليه أن الآية الكريمة ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ وأن كان الخطاب موجهاً للنبي ﷺ إلا أن المراد والمعنى به أمته، إذ لم يكن له عليه السلام في ذلك الوقت أبوان، ومن باب النهي عن عقوق الوالدين والتحذير منه ما روى البخاري ومسلم عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت.

قيل لزين العابدين رضي الله عنه إنك من أبر الناس بأمك فلماذا لا تأكل معها في صفحة واحدة، فقال: إني أخاف الله أن تسبق يدي يدها إلى ما تسبق عيناها إليه فأكون قد عقتها.

وفي المسند والمستدرک وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة. مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والديوث الذي يقر الخبث لأهله.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات قال: لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرقت، ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك.